كلمة حضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا

وزير الداخلية والشؤون الاجتماعية

فى حفلة نقابة الصحفيين لتكريم معاليه

حضرة الأستاذ النقيب

اخوانى الصحفيين

لقد جئت لأكرمكم فكرمتونى ، وأردت أن أشبعكم ثناء فأشبعتمونى . ولئن دعوتونى الى مائدة طعامكم وشرابكم فلقد استمرأت مائدة علمكم وآدابكم . . وانها لمائدة عامرة بالاخوان ، حافلة بأشهى الألوان . . شعر رائع ، ونثر جامع ، وحب بدا فى أجمل الصور ووقار اتفقت فيه الصحافتان الأجنبية والمصرية ، وعبرت عنه الافتتان الفرنسية والعربية .

فاذا تكلمت بينكم فلا لأجاريكم فى مبدأكم ولا لأحاول بيانا كبيانكم . بل لأؤدى بعض ما أنتم أهله من التحية والشكر ، أو لألتمس عن التقصير بعض العذر . . نعم لأشكر لكم كريم عواطفكم ونبيل مشاعركم ، ولأحييكم تحية هى منكم وإليكم .

أجل هى تحيتكم — أيها الاخوان — فما أحسبنى الا واحد منكم ، يحس احساسكم ، ويشعر شعوركم . . وليس أحب الى قلبه من أن يكون زميلا لكم ، وعضوا بينكم .

أيها السادة

لقد تفضل خطباؤكم فنوهوا بأعمال عدوها خدمات أسديتها ، وما هى الا فروض للصحافة أديتها ، وإذا صح أنى قمت بعمل موفق سديد ، فانى أدعو الله أن يؤتينى القدرة على المزيد ، وأن يبلغنى فى خدمة الصحافة كل ما أزيد .

إنى لأقدر الصحافة حق قدرها ، وأعرف أنها مدرسة من تعلم ومن لم يتعلم ، فهى للأول نمو وكمال ، وهى للثانى عوض عما حرمته من صروف الأيام . وأعرف أنها نعم الموجه للحكومات ، ونعم المثقف للشعوب ، وخير سفير بين الحاكم والمحكوم ، وأعرف أنها مقيدة حين تطرى وتمدح ، نافعة حين تنقد وتقدح ، وأذكر أثرها الكريم فى نهضة هذا الوطن العزيز ، ونصيبها العظيم من جهاده للاستقلال والحرية ، وتضحياتها البالغة فى هذا السبيل .

لذلك كله أيها الاخوان ، أحببت الصحافة وقدرتها ، بل لقد كانت مهوى نفسى فى مطلع حياتى ، ولقد ظل حبى لها يزداد على الأيام ، ويقوى بمرور الأعوام . . . وظل إيمانى بالرسالة الجليلة التى تنهض بأعبائها الصحافة والعمل العظيم الذى يقوم به الصحفيون هو السراج الذى أستضىء به فى تصريف ما يتعلق بها من الشؤون .

ولذلك كله أيضا أحببت عملكم وأحببتكم من أجله ، فاذا كنتم قد أقمتم هذ الحفل — كما تقولون — لتكريمى ، فان هذا المعنى أبعد ما يكون عن تقديرى وتفكيرى .

وإنما هى تحية الوفاء لأخ لكم ، ومودة القربى لعضو منكم ، يسره أن تتاح له مثل هذه الفرصة فى الجلوس إليكم والتحدث معكم . .

أيها الاخوان

احفظ فيما أحفظ ، كلمة " لملتون " الشاعر الخالد يقول فيها :

(أعطنى حرية القول ، وحرية الضمير ، وحرية الاعتقاد ، ولا تعطنى شيئا بعد ذلك) .

وليست هذه الكلمة الصادقة فى الواقع إلا تصوير صادق لشخصية الصحفى وتوضيح ناطق لمهمته ووجهته ، فالصحفى الذى يغرس غرس الحرية فى النفوس ويجمع من حولها العواطف والقلوب ، إنما هو رجل حر ، يعيش بالحرية وللحرية .

وإذا قلت الحرية ، فانما أعنى الحرية التى تقف دائما فى كل اتجاهاتها عند الحقيقة الناصعة المنيرة ، . وليست هذه الحقيقة إلا الحق المطلق ، لا يشوبه الرياء أو الزيف ، والواجب المطلق لايدخله الغش ولا الكذب ، واليقين المطلق لا يعتوره شك ولا ريب .

وعلى هذا لا يطيق الصحفى الحق أن يرى نفسه مغلوبا باصطلاح أو عادة ، ولا يستطيع أن يقبل العيش فى ذل من الباطل وهوان من الرأى .

ومتى كان الصحفى عند هذه الحقيقة بعقله وقلبه وقلمه ، فهو لاشك رسول إصلاح ، تملأ الحرية اهابه قوة فى الشعور بالواجب ، وإيمانا بالحق ، واستقامة على الصدق ، ومراقبة الله فى القول والعمل ، وتلك لعمرى صفات القادة والمرسلين ، وشيمة الحكماء الصادقين ، وطبيعة المصلحين المخلصين . بل ذلك هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . .

بهذا المعنى — أيها الأخوان — كانت الصحافة فى حياة الأمم ونهضاتها الروح والمبدأ ، تمشى بالحاضر إلى المستقبل ، وتمهد الطريق بالقول إلى العمل ، تنبض بها قلوب الأفراد والجماعات ، ويسطر عنها التاريخ ما يروى من سير وآيات .

وبهذا المعنى ، كانت الصحافة عندنا قيادة الأمة فى أبان الثورة ، ودعوتها المرسلة للأخذ بأسباب النهضة ، وصوتها الذى ينطلق فى وجه الظلم حتى يمحى ، ويواجه جبروت الطغيان حتى يزول .

وبهذا أيضا كانت الصحافة أداة استقلالنا ، ودعامة قوية من دعائم نهوضنا ، على ندائها قمنا ، وبهديها ، سرنا حتى لنا ما لمنا ، وهو بحمد الله أكثر مما أملنا ، وإننا لنرجو منه المزيد .

اخوانى المصحفيين

قد تحدثت اليكم حديث الأصدقاء والأحباب ، وآن لى كوزير أن أتقدم بعد ذلك الحساب . فان رأيتم أننى خدمتكم بذلك ، وإلا فاظهروني على ما يحقق لكم كل أمانيكم ، ويكفل لكم حسن القيام بواجبكم . فانه ليسرنى كثيرا أن أضع موضع العناية جميع ماتبدونه من الآراء والمقترحات ، ليكون عملكم يسير الماء ، سهل الأداء جهد المستطاع .

لقد دشمت هذه الحرب العالم بأزمته ، وفرضت على الناس الكثير من الأعباء الثقال — المحاربين منهم والمحايدين — فكان علينا أن نحمل منها أخف الاحمال بالقياس الى غيرنا ، وفاء لعهودنا والتزاماتنا من جهة ، وحرصا على وضعنا الديمقراطى من جهة أخرى . ولم يكن بد من أن ننتصر للديموقراطيات التى تدافع عن هذه المبادى المقدسة ، ولم يكن بد أيضا من أن نضع بأنفسنا — فى أضيق نطاق — بعض القيود التى يظل معها هذا الحكم الديمقراطى قائما سليما .

وكانت الرقابة على الصحف بعض هذه القيود ، فبدأت شديدة الوطأة ، ثقيلة القيود حتى جاءت حكومة الوفد ، فجعلت الرقابة شيئ هينا ، وفتحت الباب على مصراعيه لمن يريد أن ينتقد سياستها ، أو يبدى رأيه فى تصرفاتها وأنكم لأدرى الناس برقابة الأمس ورقابة اليوم !

فلا أزيدكم علما بما تعلمون ، وإنما أسجل هنا حقيقة من الحقائق المتصلة بحرية الرأى ، لأن الصحافة هى مظاهر هذه الحرية ورأس مالها ... ولا أرانى بحاجة الى المقارنة والمفاضلة فان صحفكم اليوم شاهدة بهذه الحقيقة ، ناطقة بها ، فمن قرأها ظن ألا رقابة عليها — لأن الأحرار من الناس لا يخشون الحريه ، بل يحثون عليها ويدعون اليها .

ومهما يكن من شيء — أيها الاخوان — فان دوى المدافع لابد أن يصمت يوما وان طال الانتظار ، ولابد أن تقف دائرة الحرب عن غاية وان بعدت النهاية .

أقول لكم بأن مهمتكم يومئذ ستهون . . . ولكنى أقول الى أن هناك مهمة شاقة تنتظركم ، فحينذاك — سيفتح ميدان تكونون أنتم قواده وجنوده ، وأعلامه وبنوده ، وسيكون البناء موكولا لأقلامكم ، والتدعيم منوطا باخلاصكم ، سيكون لكم الرأى فى إعلان الحقيقة التى ترفعنا ، وتوضيح العقيدة التى تربطنا ، وكل منكم فى هذا عون لأخيه ، وأنتم جميعا بهذا فى عون هذا الوطن وبنيه — وليست بعد الوطن غاية كما تعلمون .

سيفيق العالم فى مطلع الغد الى نفسه ، وسيعود من جديد يبحث عن امتداده فى نوعه وجنسه ! وستقوم دولة الفكر والرأى لتراب الصدع البالغ الذى أحدثته دولة القوة والصولة .

وستكون مصر من تلك فى مضطرب واسع فسيح، تبنى لنفسها وتؤدى ضريبة الأخوة لشقيقاتها، وتنهض بما يؤكد الروابط القائمة بينها وبين صديقاتها، وسيكون معظم العبء فى هذا كله على الصحافة، أى عليكم أنتم، تفكرون وتقدرون، وترسمون وتنهجون، وتطالبون لكل فرد بما تنطوى عليه ذاته، وللمجتمع بما يقوم عليه كيانه وبنيانه.

ولست أشك أيها الإخوان فى إنى أقدر تلك المهمة الشاقة، وأعرف ميدان الجهاد الذى ينتظركم.

ولا شك أيضا أنكم مثلى تقدرون وتدركون، ويسرنى أن ألمس وجهتكم الى هذا القصد وأن أضع يدى على هذا فى أيديكم، وأن أكون دائما فى عونكم. وانها لمعونة أخ لإخوانه غرضهم متفق، وهدفهم مشترك، وغايتهم واحدة — هى الله وهذا الوطن العزيز —

أيها الإخوان الأبرار :

لقد استمعت الى ما ذكره خطباؤكم، وما تحدث به حضرة نقيبكم، عما قدمته الحكومة القائمة وعلى رأسها الزعيم الأمين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا، الى نقابتكم من خدمات ومساعدات. استمعت لثنائكم على الحكومة فيما صنعت، واشادتكم بما أسدت، وإنى لأقول لكم ان ما صنعنا ليس إلا بعضا مما اعتزمنا، وانه لبعض الدين يوفى لأصحابه، وقليل من الفضل يرد الى ذويه وأربابه.

ففى سبتمبر سنة ١٩٤٢، قررت الحكومة إعانة نقابة الصحفيين بالفين من الجنيهات وصرفت الاعانة فعلا ولأول مرة، فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٢، كما صرفت إعانة سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٤ فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٣

وكان من حسن التوفيق أن يتم وضع مشروع إنشاء صندوق الادخار لأعضاء النقابة فى هذا العهد، إذ أقرته لجنة الجدول، واعتمده حضرة صاحب المقام الرفيع فى ٨ أبريل سنة ١٩٤٣

ثم قام مجلس النقابة بوضع لائحة خاصة لعقد استخدام الصحفيين، وقد عرضت على لجنة الجدول للنقابة فأقرتها بعد ادخال كثير من التعديلات عليها؛ ثم قدمت الى فصدقت عليها فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣ و بذلك تم وضع الأساس الذى تقوم عليه العلاقة بين رجال الصحافة.

وكان لابد للنقابة من مكان يصبح مركز نشاط أعضائها، ومندى لاجتماعهم فى أوقات فراغهم، وكان من حسن الطالع أن أخليت هذه الدار، وما أن رأت النقابة فيها مكانا صالحا لأغراضها حتى بادرت باصدار الأمر بتسليمها لها وبهذا أصبحت مركزا للنقابة وناديا للصحفيين.

أيها السادة: تمت هذه الخطوات فى عهد الحكومة الحاضرة، وهى لا تألو جهدا ولا تدخر وسعا فى عمل كل ما يكفل للصحافة والصحفيين استقامة أحوالهم ورفعة شأنهم،

وتوفير أسباب الراحة والمساعدة لهم ، والحكومة إذ تفعل هذا إنما تفعله عن إيمان بما للصحافة من فضل فى حسن توجيه الرأى العام .

ولقد طاب لى نقيبكم الفاضل أن تساهم الحكومة فى صندوق الادخار عن طريق التبرع له فى أول عهده بمبلغ من المال ، فوعدته بتحقيق هذه الأمنية ، وها أنذا أبر بوعدى وأسلمه شيكا بمبلغ ألف جنيه مساهمة من وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذا الصندوق ، كما أقدم لحضرة النقيب شيكا بمبلغ ألفى جنيه قيمة إعانة النقابة عن السنة المالية الجديدة ، ولعله أول مبلغ يصرف من ميزانية وزارة الداخلية الجديدة هذا العام .

أيها الإخوان .

إنى لأرى من واجبى أن أبادلكم الشكر بالشكر ، وأن أشيد بصنيعكم كما أشدتم بصنيعنا ، فلا ينبغى فى هذا المقام الا أن أذكر بالتقدير والإكبار تلك الجهود التى بذلها نقيبكم السابق صديق الأستاذ محمود أبو الفتح ، فقد استطاع وهو الصحفى المخلص لمهنته ، أن يأخذ بيد النقابة وهى فى مدرج خطوها ، فلم يلبث أن ركز جهودها ، ووضح شخصيتها وأقامها هيئة محترمة لها كيانها ومكانها ، وليس هذا بالغريب عليه ، فانه صاحب الصولة فى ميدان الصحافة الحرة النزيهة ... ثم تلقى النقابة من بعد ، نقيبكم الحالى صديق الأستاذ محمد عبد القادر حمزة . وهو كما أعرفه الصحفى المجد الطموح ، الذى جمعت شخصيته بين الشباب والنباهة . وما ورثه من من المرحوم والده من التجارب والحنكة ، فبرز فى النهوض باعباء مهنته مثال التضحية والفناء ، وطراز عال من الاخلاص والوفاء ، أسأل عنه فى السابعة الثامنة صباحا فاجده فى مكتبه بالجريدة ، يسبق موظفيه إلى العمل ، ويتقدمهم فى جهدهم والبذل ، حتى أصبحت صحيفة (البلاغ) بفضل جهده ، من أمهات صحف الشرق ... وليس وفاؤه هذا لعمله الا صورة ناطقة من وفائه لمهنته ولإخوانه ... جزاه الله عن عمله هذا خير الجزاء .

كما أقدم خالص شكرى لحضرات أعضاء مجلس إدارة النقابة جميعا ، وأشيد بما لمسته فيهم من اخلاص وتفان فى خدمة هذه النقابة وأعضائها المحترمين .

وختاما ، أكرر الشكر على أن أتحتم لى هذه الفرصة السعيدة ، سائلا المولى جل وعلا أن يحسن عنى جزاءكم ، وأن يوفقنى دائما الى مرضاتكم ، وأن يجعل المودة الصادقة صلتى بكم وعهدى معكم . . فى ظل مليك مصر المعظم فاروق الأول أيد الله ملكه ، وملأ بالخير والنعمة عهده .

والسلام عليكم ورحمة الله .

فؤاد سراج الدين